مجلة العلوم الشرعية
جامعة *القصيم*، المجلد (١١)، العدد (٢)، ص ص ٦٥٩-٧١٤ (ربيع ثاني ١٤٣٩هـ/ديسمبر ٢٠١٧م)

مصطلح (النَّصارى) ودلالاته

د. أحمد بن عبدالرحمن بن عثمان القاضي
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة ولدراسات الإسلامية
بجامعة القصيم

ملخص البحث.

أهم النتائج:

١- مصطلح (النصارى) هو الاسم التاريخي السائد لأتباع المسيح، قبل الإسلام وبعده، عند العرب.

٢- التسمي بهذا المصطلح (النصارى) ناشئٌ عن قول المنتسبين للمسيح: (إنا نصارى)؛ إما لتناصرهم فيما بينهم، أو لاتصافهم بـ (أنصار الله) أو لنزولهم بلدة (ناصرة).

٣- مصطلح (النصارى) هو التعبير القرآني للتعريف بأتباع المسيح، مهديِّهم وضالِّهم، في نحو أربعة عشر موضعًا. وكذلك في السنة والسيرة النبوية. ولم يجر التعبير بـ (المسيحيين) مطلقًا.

٤- (النصارى) الممدوحون في الكتاب والسنة هم أتباع المسيح حقًا؛ كالحواريين، ومن أدرك محمدًا صلى الله عليه وسلم فآمن به. و(النصارى) المذمومون في الكتاب والسنة هم الراغبون عن ملة إبراهيم، المستنكفون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه.

٥- أجمعت المصادر النصرانية، على تلقيب المسيح، بـ"الناصري"، نسبةً إلى نشأته في بلدة "الناصرة".

٦- أهملت المصادر النصرانية تلقيب أتباع المسيح بـ"النصارى"، وقصرت ذلك على طائفة متهودة، بزعمهم

٧- اعترفت المصادر النصرانية القديمة بطروء لقب"المسيحيين"على أتباع المسيح، وأنه ليس من وضع الحواريين ولا التلاميذ، بل من خارجهم.

٨- ظلَّ مصطلح "النصارى" سائغًا مقبولًا مستعملًا لدى نصارى المشرق، طوال القرون. وظهرت بوادر التنصل منه والاستعاضة بلقب "المسيحيين" إثر تواصلهم مع النصارى الغربيين، لدواعٍ مجتمعية اعتبارية، أو لصرف الذم القرآني إلى طائفةٍ منقرضة، بزعمهم.

٩- "النصارى المهديون" هم الحواريين والأصحاب، وتابعوهم بإحسان، المعتقدين أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، المتمسكون بالشريعة، النافون للشرك والبدعة.

١٠- "النصارى الضالون" أتباع بولس، القائلون بـ"قانون الإيمان النيقاوي" المتضمن للتثليث، والبنوة، والحلول، والتجسد، المتنصلون من الشريعة.

١١- شاول الطرسوسي (بولس)، تظاهر باعتناق النصرانية ليفسدها، ويخرجها عن ملة إبراهيم.

١٢- "النصارى المهديون" تناقصوا على مر القرون، بسبب اضطهادِ اليهود والرومان، ثم تسلطِ "النصارى الضالين" المتحالفين مع قسطنطين، ضد الموحدين الآريوسيين.

أهم التوصيات: المحافظة على المصطلحات الشرعية، والبحث العلمي عن تاريخ فرق المؤمنين الأولين من النصارى.

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل إليه الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنًا عليه. وسبحان الله الذي جعل لكل أمة شرعةً ومنهاجًا، ليبلوهم فيما آتاهم، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة.

أما بعد: فقد سبق في قدره سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، ومضت سنته في خلقه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، فكان الناس على ضربين: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ فأهل الهدى صنف واحد لا يتعدد، وسبيل واحد لا يشتبه، وصراط واحد لا يزيغ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. وأما أهل الهوى فشِيَعٌ وأحزاب، ومِلَلٌ ونِحَلٌ لا حصر لها. فمن فارق الأنبياء وأتباعهم، وتنكب صراطهم السوي، آل إلى أحد صنفين:

أحدهما: أهل الأوثان: (الذين لا يعلمون) من أصناف المشركين، والمجوس، والهندوس، والبوذيين، ومن وراءهم من الملل المشرقية، والفلسفات الوضعية.

الثاني: أهل الكتاب: (اليهود والنصارى)، الذين رغبوا عن ملة إبراهيم، وحرفوا الكلم عن مواضعه، ومن بعد مواضعه، وأفسدوا أديانهم بمضاهاة قول الذين كفروا من قبل.

ولم يزل أهل الإسلام يسمون (النصارى) بما سماهم الله به في كتابه، وبما سماهم به نبيه صلى الله عليه وسلم في خطابه، لا يعرفون لهم اسمًا غيره. وربما عمُّوهم مع اليهود بلقب (أهل الكتاب) أو (بني إسرائيل)، وربما خصُّوهم بلقب (أهل الإنجيل)، كما ورد في التنزيل. وما زال هذا الاصطلاح جاريًا في أهل الإسلام؛ شرعًا، وعرفًا، ونظامًا، كما في (نظام الملل) الذي قنَّنه السلطان محمد

الفاتح، إثر فتح القسطنطينية عام (٨٥٧ هـ - ١٤٥٣م)، وظل ساريًا في الدولة العثمانية، إلى أن ألغاه السلطان عبد المجيد الأول، إرضاءً للأوربيين، بمرسومه الشهير (خط شريف كولخانه) عام (١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م)، ثم تلاه (الخط الهمايوني) عام ١٨٥٦م، الذي قضى على البقية الباقية من التمايز الديني، رسميًا، لكنه لم يقض عليه شرعًا، وعرفًا.

وفي العقود الأخيرة، وفي حقبة الاستعمار الغربي للممالك الإسلامية، إثر إلغاء الخلافة العثمانية عام (١٣٤٤هـ - ١٩٢٤م)، جرى استبدال مصطلح (النصارى) بمصطلح (المسيحيين)، ومصطلح (النصرانية) بـ(المسيحية)! حتى بات ثقيلًا على ألسنة المتحدثين أن يسموهم بالاسم القرآني النبوي. فهل كان ذلك من قبيل محاكاة لغة العصر، والتنوع في التعبير، أم لذلك تفسير، وسبق تدبير؟

لا يختلف الباحثون على أهمية تحرير المصطلحات ودلالاتها، وردها إلى أصولها ومنابتها، واستعمالها فيما وضعت لأجله. ويهدف هذا البحث إلى التعرف على مدلول مصطلح النصارى، عند مختلف الفرقاء، والتمييز بين حامليه، عبر ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصطلح (النصارى) في الكتاب والسنة، ودلالاته.

المبحث الثاني: مصطلح (النصارى) في مصادر أهل الكتاب.

المبحث الثالث: النصارى المهديُّون والنصارى الضالون.

ثم الخلوص إلى النتائج والتوصيات. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه، نافعًا لعبادة، في بيان الحق، ورفع الالتباس، وكشف الشبهات. والله الموفق.

المبحث الأول: مصطلح (النصارى) في الكتاب والسنة ودلالاته

ورد لفظ (النصارى) في القرآن الكريم، في ثمانية مواضع:

١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

٢- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣].

٣ - ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

٤- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

٥- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٦٩].

٧- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

٨ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

وورد بلفظ (نصارى) في خمسة مواضع:

١- ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

٢- ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

٣- ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠].

٤- ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٤].

٥- ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: ٨٢].

وورد لفظ (نصراني) في موضع واحد: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

فصار مجموع ذلك أربعة عشر موضعًا. وهذا يكشف الأهمية التي تحظى بها، والحاجة الماسة إلى بيانها.

وورد وصفهم بـ (أهل الكتاب)، و (أوتوا الكتاب)، و (بني إسرائيل) في مواضع عدة تشملهم مع اليهود. وورد تسمية طائفة خاصة من السابقين منهم، آمنت

بالمسيح، عليه السلام، بـ (الحواريين) في أربعة مواضع. ولم ترد تسميتهم بـ (المسيحيين) إطلاقًا، ولا في موضع واحد!.

وأما السنة النبوية، فيتعذر حصر ما ورد فيها. وتشير بعض محركات البحث الإلكترونية إلى ورودها بمختلف تصرفاتها، ورواياتها أكثر من ألف مرة.

أصل الاشتقاق وسبب التسمية:

مصطلح (النصارى) واشتقاقاته شائع في شعر العرب ونثرهم قبل الإسلام. ولا يكاد يخلو معجم من معاجم اللغة في مادة (نصر) من ذكره. ومن أقدمها الصحاح، للجوهري، فقد جاء فيه: (والنصارى: جمع نَصْران ونصرانة، مثل الندامى جمع ندمان وندمانة.

قال الشاعر:

فكلتاهما خرَّت وأَسجَدَ رأسُها　　　كما أسجَدَت نصرانةٌ لم تَحَنَّف

ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب؛ لأنهم قالوا: رجل نصراني، وامرأة نصرانية. ونصَّره: جعله نصرانيًا)[1].

وقد ذكر إمام المفسرين، محمد بن جرير الطبري، رحمه الله، نحوه، وزاد عليه: (وقد حُكي عنهم سماعاً: "نصران" بطرح الياء، ومنه قول الشاعر:

تراه إذا زار العِشِيُّ مُحَنِّفًا　　　ويُضْحي لديه وهو نصرانُ شامس

... وقد سمع في جمعهم "أنصار"، بمعنى النصارى. قال الشاعر:

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارَا　　　شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِيَ الإِزَارَا

كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارَا)[2]

---

(١) الصحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط. دار العلم للملايين. بيروت. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. (٢/ ٨٢٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ). ط. مصطفى الحلبي.مصر. (١/ ٣١٨).

وتدور عبارات المفسرين، وأرباب المقالات حول تسميتهم بذلك على ثلاثة أسباب، لخصها الطبري بقوله: (سُمُّوا "نصارى": لنصرة بعضهم بعضًا، وتناصرهم بينهم. وقد قيل إنهم سُمُّوا "نصارى"، من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها"ناصرة" ... ويقول آخرون: لقوله: "مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ")[٣].

وكذا قال ابن الجوزي: (لقول عيسى: ﴿ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ وقيل سُمُّوا النصارى لقرية نزلها المسيح، اسمها: ناصرة، وقيل: لتناصرهم)[٤].

وقال ابن كثير، رحمه الله: (فَلَمَّا بُعِثَ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ اتِّبَاعُهُ وَالِانْقِيَادُ لَهُ، فَأَصْحَابُهُ وَأَهْلُ دينه هم النصارى، سموا بِذَلِكَ لِتَنَاصُرِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَدْ يُقَالُ لَهُمْ أَنْصَارٌ أَيْضًا، كَمَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ وَقِيلَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَزَلُوا أَرْضًا يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٥].

والذي ينبغي في هذا المقام، والله أعلم، أن يحال على السبب الذي نص عليه القرآن في موضعين؛ وهو قولهم عن أنفسهم: ﴿إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾[المائدة: ١٤، ٨٢]، ثم يشرع في تلمس سبب هذا التسمي.

ويلاحظ في كليهما التأكيد على أنهم (قالوا) من تلقاء أنفسهم، ولم يكن ذلك تسميةً من الله لهم، ولا من غيرهم لهم! وقد روى ابن جرير بسنده عن قتادة قال:

---

(٣) المرجع السابق.

(٤) زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي ، ابن الجوزي(ت ٥٩٧هـ) ط: المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ١٩٦٤م. (١/ ٩١).

(٥) تفسير القرآن العظيم. عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤هـ). تحقيق: أبو إسحاق الحويني. ط: دار ابن الجوزي ١٤٣١هـ. ١/ ٤٢٨.

(إنما سُمُّوا نصارى ؛ لأنهم كانوا بقرية يقال لها "ناصرة" ينزلها عيسى ابن مريم، فهو اسم تسموا به، ولم يؤمروا به)[٦].

وقال ابن كثير، رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ ﴾: (أَيْ وَمِنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ نَصَارَى يتابعون الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَيْسُوا كَذَلِكَ)[٧]، وقال عند قوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰۚ ﴾: (أَيِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ نَصَارَى مِنْ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ إِنْجِيلِهِ)[٨].

وبالنظر إلى المواضع الأربعة عشر، نلحظ أن ذكرهم جاء مقترنًا بذكر يهود، إما اقترانًا لفظيًا، وإما في سياق واحد، وكأنما بين الطائفتين تلازم وتساوق. وبالنظر إلى تلك المواضع، من الناحية الموضوعية؛ مدحًا أو ذمًا، نجد أن عشرة منها تذكرهم في سياق الذم والرد والإنكار، فضلًا عن المواضع الأُخَر التي تذمهم وتكفرهم بمقالاتهم، دون تسميتهم بالنصارى. وفي موضع واحد لا نلمس مدحًا ولا ذمًا، بل مجرد خبر، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧]. ونجد مدح بعضهم مدحاً مقيدًا، في ثلاثة مواضع، هي:

١ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

---

(٦) جامع البيان: (٣١٨/١).

(٧) تفسير القرآن العظيم: ٣٥٥/٣

(٨) المرجع السابق: ٣/ ٤٤٩

٢ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المائدة: ٦٩].

٣ - ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقد يبدو الأمر مشكلًا للوهلة الأولى! ولكنه بيِّن مُتَّسق، بحمد الله. وبيان ذلك: - أن النصارى الممدوحين في القرآن هم أتباع المسيح عليه السلام، حقًا وصدقًا، الموحدون لله، المعتقدون أن المسيح، عليه السلام، عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وماتوا على ذلك. ومن أدرك منهم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم آمن به، ودخل في عقد الإسلام، والتزم شريعته.

قال ابن الجوزي، رحمه الله: (فان قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهبانًا، وليس ذلك من أمرِ شريعتنا !؟ فالجواب: أنه مدحهم بالتمسّك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم. وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمّد صلّى الله عليه وسلّم. قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهلٌ أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك؛ لأنه إنما مدح مَن آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود)[٩].

- وأما النصارى المذمومون في القرآن فهم الراغبون عن (ملة إبراهيم)، الحائدون عن حقيقة التوحيد، الواقعون في بدع الغلو من: (الحلول)، و(البنوة)، و (التثليث). وبيان ذلك في كتاب الله:

---

(٩) زاد المسير: (٢/ ٤٠٨-٤٠٩).

١ - ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

٢ - ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١٧].

٣ - ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

٤ - ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٦].

٥ - ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣١].

٦ - ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [مريم: ٣٤ - ٣٧].

وواضح من هذه الآيات المحكمات إدانة (النصارى) وذمهم، وتكفيرهم، بما لا يدع مجالًا للشك والمراوغة التي يمتهنها بعض دعاة التقريب بين الأديان، لكونها مقرونةً بذكر الأسباب الموجبة لذلك؛ من عقائدهم الكفرية التي أحدثوها في دينهم، والرد المفحم عليهم.

ويلتحق بهم في الذم، من أبى قبول ما جاء به النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أقام الله به الحجة على أهل الكتاب بقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٩]. وقال صلى الله عليه

وسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)(١٠).

قال ابن كثير، رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المائدة: ١٤]: (أَخَذْنَا عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ صلّى الله عليه وسلم، ومناصرته، ومؤازرته، واقتفاء آثاره، وعلى الإيمان بِكُلِّ نَبِيٍّ يُرْسِلُهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَفَعَلُوا كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ، خَالَفُوا الْمَوَاثِيقَ، وَنَقَضُوا العهود، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أَيْ فَأَلْقَيْنَا بينهم العداوة والبغضاء لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. وَكَذَلِكَ طَوَائِفُ النَّصَارَى عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ؛ لَا يَزَالُونَ مُتَبَاغِضِينَ مُتَعَادِينَ، يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكُلُّ فِرْقَةٍ تُحَرِّمُ الْأُخْرَى، وَلَا تَدَعُهَا تَلِجُ مَعْبَدَهَا، فَالْمَلَكَانِيَّةُ تُكَفِّرُ الْيَعْقُوبِيَّةَ، وَكَذَلِكَ الْآخَرُونَ، وَكَذَلِكَ النُّسْطُورِيَّةُ وَالْآرْيُوسِيَّةُ، كُلُّ طَائِفَةٍ تُكَفِّرُ الْأُخْرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ لِلنَّصَارَى عَلَى مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَمَا نَسَبُوهُ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، مِنْ جَعْلِهِمْ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، تَعَالَى الواحد الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفوا أحد)(١١).

---

(١٠) صحيح مسلم كتاب الإيمان – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، (١/١٣٤)، رقم الحديث: (١٥٣).

(١١) تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٣٥٥).

وقد شهد العهد النبوي قدوم وفد نصارى نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقبالهم وضيافتهم في مسجده، ومحاجتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وأنزل الله في ذلك آيات بينات في صدر سورة آل عمران، وعرض عليهم خطة رشد، و(كلمة سواء) فقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. فلما آل الحال بهم إلى نوع إغلاق وإباء، وضَنٍّ بالرياسات، كان لا بد من فض الخصومة بإجراء حاسم، ومواجهة فاصلة، فكانت المباهلة: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [آل عمران: ٦١]. غير أن القوم جبنوا عن ذلك، لما يعلمون من حالهم، ورضوا أن يبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وإلى جانب تلك المواجهة الجماعية، كان يجري بعض المواقف الفردية الكاشفة عن زيف ما آل إليه حال عامة النصارى المعاصرين للبعثة النبوية. ومن شواهد ذلك، ما وقع لعدي بن حاتم الطائي، رضي الله عنه، وقد كان عربيًا متنصرًا، قال: (لَمَّا بَلَغَنِي خُرُوجُ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - كَرِهْتُ خُرُوجَهُ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، فَخَرَجْتُ حَتَّى وَقَعْتُ نَاحِيَةَ الرُّومِ، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ، فَكَرِهْتُ مَكَانِي ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ كَرَاهِيَتِي لِخُرُوجِهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَوْلَا أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَضُرَّنِي، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا عَلِمْتُ، فَقَدِمْتُ بِغَيْرِ أَمَانٍ وَلَا كِتَابٍ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَآنِي النَّاسُ قَالُوا: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ! عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ! فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه

وسلم - بِيَدِي فَقَامَ - وَقَدْ كَانَ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللهُ يَدَهُ فِي يَدِي -، فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيٌّ مَعَهَا، فَقَالَا: إِنَّ لَنَا إِلَيْكَ حَاجَةً، " فَقَامَ مَعَهُمَا حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي حَتَّى أَتَى بِي دَارَهُ فَأَلْقَتْ لَهُ الْوَلِيدَةُ وِسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا، وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللهِ؟ قُلْتُ: لَا. ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا تَفِرُّ أَنْ تَقُولَ اللهُ أَكْبَرُ، فَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا أَكْبَرُ مِنْ اللهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلَّالٌ. يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينٍ. قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ. فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ. أَلَسْتَ رَكُوسِيًّا(١٢)؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتَ تَرْأَسُ قَوْمَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَلَسْتَ تَأْخُذُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ(١٣)؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ. قَالَ: فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم – ذَلِكَ، تَوَاضَعَتْ مِنِّي نَفْسِي. فَقَالَ: أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ الْإِسْلَامِ ؛ تَقُولُ: إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ، وَمَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ، وَقَدْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ. فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ. أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا. قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهُ، فَقُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ لُصُوصُ طَيِّئٍ، الَّذِينَ سَعَّرُوا الْبِلَادَ؟ قَالَ: وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى. فَقُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطُوفَ بِصَدَقَتِهِ، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ. فَقُلْتُ: إِنِّي جِئْتُ مُسْلِمًا.

---

(١٢) هو دين بين النصارى والصائبين، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣٤/١).

(١٣) أي لك ربع الغنيمة، كان الرئيس في الجاهلية يأخذه خالصًا له، انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني (١٩١/٢١).

قَالَ: فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ تَبَسَّطَ فَرَحًا، ثُمَّ أَمَرَ بِي، فَأُنْزِلْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلْتُ آتِيهِ طَرَفَيْ النَّهَارِ. قَالَ عَدِيٌّ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنْ الْحِيرَةِ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ. وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ قَالَهَا)[14]. والنص حافل بالدروس والعبر المتنوعة، وليس هذا مقام بسطها.

ومن ذلك ما رواه الترمذي عنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَة: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ"، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ)[15].

لقد جاء كتاب الله بشفاء الصدور، ورفع الالتباس الذي آل إليه أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦]. كما كان نبيه صلى الله عليه وسلم على علمٍ من ربه وبيِّنة بحالهم، قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ١ - ٥].

---

(١٤) أخرجه: أحمد في المسند برقم (١٨٢٨٦) واللفظ له، البخاري كتاب الزكاة – باب الصدقة قبل الرد برقم(١٤١٣)، كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٥)، والترمذي برقم (٢٩٥٤).

(١٥) سنن الترمذي كتاب التفسير – باب ومن سورة التوبة (٥/ ١٢٩) رقم (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

المبحث الثاني: مصطلح (النصارى) في مصادر أهل الكتاب

تشير الأناجيل إلى ولادة عيسى، عليه السلام، في بيت لحم اليهودية، أيام الملك هيرودس، الذي فتك بأطفال بيت لحم فزعًا من ظهور نجم ملك إسرائيل، وهرب أمه به، برفقة يوسف النجار، إلى مصر، ثم عودتها به بعد هلاك هيرودس، ولجوئهما إلى ناحية الجليل، (وجاء مدينةً يقال لها الناصرة، فسكن فيها، ليتم ما قيل على لسان الأنبياء: إنه يدعى ناصريًا)[١٦]. وفي هذا النص القديم من إنجيل "متى" مستندٌ للقائلين بأن سبب تسمية أتباعه "نصارى"، راجع إلى نشأته في "الناصرة".

وقد كان هذا الوصف، وتلك النسبة (الناصري) شائعًا معروفًا في زمن المسيح بين أتباعه ومخالفيه. ومن شواهد ذلك ما استهل به بطرس عظته المشهورة، في يوم الخمسين[١٧]، حين خاطب الحشود المجتمعة قائلاً: (يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام: إن يسوع الناصري، ذاك الرجل الذي أيده الله لديكم بما أجرى عن يده بينكم من المعجزات والأعاجيب والآيات)[١٨].

جاء في دائرة المعارف البريطانية، عن "الناصرة"، ما ترجمته: (إنها مقدسة في المعتقدات المسيحية لكون عيسى أمضى طفولته هناك)[١٩].

قال البكري: ("نصورية" بفتح أوله وضم ثانيه، بعده واو مهملة مكسورة، وياء مفتوحة مخففة بعد هاء التأنيث، قرية بالشام إليها تنسب النصرانية، وقيل بل

---

(١٦) إنجيل متى: (٢/ ٢٣).

(١٧) بطرس مقدم الحواريين، ويوم الخمسين يوم عيد لدى اليهود، يحتفلون به بعد الفصح بخمسين يومًا.

(١٨) أعمال الرسل: ٢/ ٢٢.

(١٩) Grolier ACADEMIC ENCYCLOPEDIA 1985 : 14:67.

اسمها ناصرت بفتح الصاد وإسكان الراء بعدها تاء معجمة باثنتين من فوقها، وقيل ناصرة)[٢٠].

وقال ياقوت الحموي: ("الناصرة" فاعلة من النصر...ومنها اُشتق اسم النصارى)[٢١]. وقيل "نتسيرت" و"نازرت"[٢٢]. وتكتب باللاتينية (Nazara)، وبالانجليزية (Nazareth). كما يجد الباحث إشارة إلى فرقة (الناصريين)، وإنجيلهم؛ (إنجيل الناصريين) الذي يعد ضمن قائمة الأناجيل المنحولة (الأبوكريفا)، وكنيسة تعرف باسم (كنيسة الناصريين) في منطقة (بيلا) شرق الأردن، لجأ إليها النصارى سنة ٧٠م، بعد تدمير أورشليم.

إن صراحة النص القرآني: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ [المائدة: ١٤، ٨٣]، تحملنا على القطع بأن هذا هو الاسم السائد الذي ارتضوه لأنفسهم، وعرَّفوا به مذهبهم. غير أن المصادر المهتمة بتاريخ الكنيسة، قديمًا وحديثًا، من مختلف طوائف النصارى[٢٣]، لا تولي هذه التسمية اهتمامًا! بل تحاول حصرها في طائفة يهودية متنصرة، أو نصرانية متهوِّدة، آلت إلى الانقراض!.

جاء في كتاب (المسيحية في العالم العربي)، للأمير الحسن بن طلال، الصادر عن (المعهد الملكي للدراسات الدينية) الذي كان يتولى الإشراف عليه د. كمال الصليبي، ويبدو أنه الكاتب الفعلي، ما نصه: (ومن بعد "يسوع" عمد الأتباع

(٢٠) معجم مستعجم لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) (١٣١٠/٤).

(٢١) معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) (٢٥١/٥).

(٢٢) تاريخ الناصرة مسيرة عبر العصور (١٠).

(٢٣) انظر على سبيل المثال: تاريخ الكنيسة : يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة المسيحية : سميرنوف، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة : الأنبا اسيذورس القبطي، تاريخ الكنيسة : أندرو ميلر، تاريخ الكنيسة : جون لوريمر، تاريخ الكنيسة الشرقية : ميشيل يستيم، إغناطيوس ديك. وغيرها.

"العبريون" أي "الإسرائيليون"، وهم الذين عُرفوا باسم "النصارى"، باليونانية "Nazarenoi" إلى تنظيم أنفسهم في أورشليم، كمذهب خاص، باليونانية "hodos" أي طريق، بقيادة يعقوب بن يوسف، أحد إخوة يسوع الأربعة، ثم بقيادة آخرين من أقربائه، باعتبارهم من نسل داود. فتوجس الرومان خيفة من أن هؤلاء يطالبون بمُلك محلي، ولذلك قاموا باضطهادهم بين حين وآخر. يوسابيوس القيساري: التاريخ الكنسي: ٣: ١٩، ٢٠)[٢٤].

وبينما يثبت القرآن تسمي أتباع المسيح بـ(النصارى) في وقت مبكّر، نجد اللاهوتيين ينفون التسمية بـ(المسيحيين) في وقت مبكّر! يقول جون لوريمر، عن كنيسة أورشليم، بعد رفع المسيح: (بدأ هؤلاء المسيحيون يشعرون بهويتهم، ويحسون أنهم شركة وجماعة مميزة، وبدأت بعض الصفات المهمّة تظهر في جماعتهم هذه. لم يطلقوا على أنفسهم، بعدُ، لقب "المسيحيين"، ولكنهم كانوا يعرفون في أنفسهم جماعة من اليهود اكتشفوا لأنفسهم المسيا المنتظر)[٢٥]

ولعل أقدم نص يعوِّل عليه اللاهوتيون في إطلاق مصطلح "المسيحيين" على النصارى الأولين، ما ورد في سفر أعمال الرسل، حيث يقول كاتبه: (وفي أنطاكية سُمِّي التلاميذ أول مرة مسيحيين)[٢٦].وعلَّق المعتنون بالطبعة، من الرهبانية اليسوعية، بقولهم: (لفظٌ جديد آخر للدلالة على من سماهم "لوقا" ولا يزال يسميهم "الإخوة" و "المؤمنين" و "التلاميذ" و "الطريقة" و "القديسين" الخ. كلمة "المسيحي" ترجمة للاسم اليوناني المشتق من "المسيح"، تكاد تكون جميع تلك التسميات الأخرى من صنع المسيحيين أنفسهم. في حين أن اشتقاق كلمة "المسيحي" أي من أتباع المسيح، هي على

---

(٢٤) المسيحية في العالم العربي: الحسن بن طلال. ط: مكتبة عمان ١٩٩٥م. ص: (٢٢-٢٧).

(٢٥) تاريخ الكنيسة:(١/ ٤٩).

(٢٦)إنجيل متى. أعمال الرسل: (١١: ٢٦).

ما يبدو، من صنع غير المسيحيين. ويدل ظهور هذا اللفظ على أن كنيسة أنطاكية كان ينظر إليها، لا كما ينظر إلى شيعة يهودية، بل إلى جماعة دينية جديدة تنتمي إلى المسيح)[٢٧] ويبدو أنه في وقت لاحق، شاع نبز "النصارى" باسم "المسيحيين" في أرجاء الدولة الرومانية، فيذكر المؤرخ الروماني "تاسيتوس" اضطهاد الإمبراطور الروماني "نيرون" سنة ٦٤م للنصارى، إثر حريق روما الشهير، ويقول: (لكي يتخلص الإمبراطور من هذه الإشاعات ألقى بالتهمة على جماعة من الناس مكروهة؛ لأجل نجاستهم، يطلق عليهم عادة اسم "المسيحيين" ، وأوقع بهم العقاب على هذه التهمة، وقد سموا كذلك نسبة للمسيح " Christus")[٢٨]

لم يكن لدى نصارى العرب تحسس لهذه التسمية، بل كانت دارجة سائغة في جميع الأدبيات والكتابات الرسمية. وغاية ما في الأمر أن يعدوها من قبيل الاصطلاحات العرفية المحلية، التي تختلف باختلاف البلدان، كما جاء في الموسوعة العربية الميسرة، في مادة (نصارى): (يراد بهم خاصة نصارى الشرق، في حين أن مسيحيي القسطنطينية يسمون الروم، ومسيحيي أوربا يسمون الفرنجة)[٢٩].

جاء في كتاب "المسيحية العربية وتطوراتها": (يرى بعض المستشرقين أن لفظة "النصارى" من أصل سرياني هو نصرايا Nasraya ، وتطلق على مسيحيي الشرق. ويرى بعض المؤرخين أن لها صلة بـ"الناصرة" المدينة التي كان منها يسوع، حيث يقال: "يسوع الناصري" أو لها صلة بـ"الناصريين" وهم إحدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة ... وهكذا فرغم ما يلاحظ من اختلافات جزئية حول مصدر اللفظ "النصارى،

---

(٢٧)العهد الجديد: (٤٠٥- ٤٠٦)، حاشية (١٧).

(٢٨) تاريخ تاسيتوس : Annales XV، نقلًا عن : تاريخ الكنيسة : جون لوريمر (٩١).

(٢٩) الموسوعة العربية الميسرة. ط:دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. القاهرة: ١٩٦٥م. (١٨٣٥).

النصرانية ..." فإن الاتفاق حاصل حول مدلوله، وهو: أتباع المسيحية في الشرق، بما في ذلك العرب)[٣٠].

غير أنه لوحظ في العقود الأخيرة، وبعد الانفتاح على العالم الغربي، رغبة النصارى العرب في التنصل من هذا اللقب، والاستعاضة عنه بلقب "المسيحيين" إلى حد التوتر والاستفزاز! ولعل مرد ذلك إلى الشعور بالدونية المقترنة بلقب "النصارى" إبان القرون المتتالية، التي امتدت حتى القضاء على الخلافة العثمانية و(نظام الملل)، ونزعتهم للارتباط بالعالم الغربي، المتفوق ماديًا وعسكريًا، والنأي عن محيطهم الإسلامي.

ومن الممارسات المتبجحة، المغرقة في الشطط والغرابة، طروحات الأب يوسف درة الحداد (١٩١٣ - ١٩٧٩م)، الذي حاول فيها التفريق بين "النصارى" و "المسيحيين" على نحو غير مسبوق! يقول مشيرًا إلى اختلاف المؤمنين بالمسيح حول طبيعته: (هذا السلوك المختلف في الجماعة الواحدة، شق المسيحية منذ تأسيسها إلى سنة وشيعة؛ سنة المسيحيين، الذين يتبعون شرعة الرسل في مجمع أورشليم، وشيعة النصارى اليهود، الذين ظلوا يقيمون التوراة والإنجيل معًا بزعامة آل بيت المسيح، أسقف أورشليم)[٣١].

وبناءً عليه، فالنصرانية، بهذا الاعتبار، نوع من البدعة والهرطقة المرفوضة، الخارجة عن الاستقامة العقدية، بل يسميها "رِدَّة"! ويقول : (فالردة النصرانية! موضوعها: الكفر بإلهية المسيح، والكفر بالفداء في صلبه. وينتج عن ذلك الكفر

(٣٠) المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي : د. سلوى الحاج صالح- العايب. ط: دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت ١٩٩٧م. (٢٧ – ٢٨).

(٣١) القرآن دعوة نصرانية. الأب يوسف درة الحداد. منشورات المكتبة البولسية. الطبعة الثانية: بيروت ١٩٨٦م. (٥٦).

بالتثليث، والكفر بالتجسد. هذه هي عقيدة النصارى في المسيح، وسيقومون عليها طوال عهد الفترة ما بين الإنجيل والقرآن)[٣٢].

والكاتب المذكور يسترسل في خيالاته ومجازفاته ليخلص إلى أن أولئك النصارى، المرتدين في نظره، هم المؤسسون الحقيقيون لدين الإسلام، وأن نبينا محمدًا صلى عليه وسلم، تربى، وتعمَّد! في بيئة نصرانية، إلى آخر ترهاته. والمقصود في هذا المقام الإشارة إلى محاولة بعض نصارى المشرق المستغربين، التنصل من هذا اللقب التاريخي "النصارى"، وقصره على فئة شاذة، تنتمي للمسيح[٣٣].

أما النصارى الغربيون، فيتحفظون على إطلاق هذا اللقب، ويرون في ذلك إبهامًا! يقول الأب جان كوربون: (المسيحيون هم "النصارى"، والتعبير قرآني محض. والقرآن لا يستعمل كلمة "المسيحيين". من هنا ينشأ إبهام: فقد يفهم المسيحيون بكلمة "النصارى" التي يُسمَّون بها أنهم تبَّاع يسوع الناصري، ويقبلون بذلك. لكن عليهم أن يرفضوها أيضًا؛ لأنها، ترجيحًا، تعني في القرآن فرقة معينة سميت بالنصارى، وهي فرقة خاصة ممن يقولون بمسيحية ذات طابع يهودي) [٣٤].

المبحث الثالث: النصارى المهديُّون والنصارى الضالُّون

لقد كانت بعثة عيسى ابن مريم، عليه السلام، رحمة من الله لمن شاء من عباده، وفتنة لآخرين. وقد احتف بها من الآيات العظام ما يبهر العقول، ويخضع

---

(٣٢) القرآن دعوة نصرانية: (٦٦).

(٣٣) انظر في الرد على ذلك: دعوة التقريب بين الأديان. د. أحمد القاضي. ط: دار ابن الجوزي. الدمام ١٤٢٢-٢٠٠١: (٥٥٩- ٥٧٧).

(٣٤) كنيسة المشرق العربي : الأب جان كوربون. ط: منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط. بيروت ١٩٩٦م (١٤).

النفوس لسلطان الحق؛ بدءاً من ولادته من أم بلا أب، وتَكَلُّمه في المهد، مرورًا بما أجراه الله على يديه من إبراء الأكْمَه والأبرص، وإحياء الموتى، والتنبئة بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وانتهاءً بإيتائه الإنجيل، وما تضمنه من الهدى والحكمة والموعظة. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٥١].

وقد أفصح بشكل جلي سافر عن حقيقته، وحقيقة دعوته، منذ افترَّ عن ثغره في المهد أمام الملأ من قومه، وأمه تحمله، قائلًا: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٦].

ورغم هذا البيان الجلي القاطع لكل جدل، الناسف لكل شبهة، فقد اختلف الأحزاب من بعده! قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ

مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤].

قال ابن كثير، رحمه الله: (لَمَّا بَلَّغَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِسَالَةَ رَبِّهِ إِلَى قَوْمِهِ، وَوَازَرَهُ مَنْ وَازَرَهُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، اهْتَدَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَضَلَّتْ طَائِفَةٌ فَخَرَجَتْ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ، وَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، وَرَمَوْهُ وَأُمَّهُ بِالْعَظَائِمِ، وَهُمُ الْيَهُودُ - عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - وَغَلَتْ فِيهِ طَائِفَةٌ مِمَّنِ اتَّبَعَهُ، حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَافْتَرَقُوا فِرَقًا وشِيَعا، فَمِنْ قَائِلٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ. وَقَائِلٍ: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ: الْأَبِ، وَالِابْنِ، وَرُوحِ الْقُدُسِ. وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ اللَّهُ)[٣٥].

نعم! لقد كان ذلك الافتراق الأولي داخل بني إسرائيل الذين أرسل إليهم؛ فانقسموا إلى مؤمنين وكفار. **فأما الكفار، فصنفان:**

أحدهما: مردة يهود؛ من الصدوقيين، والفريسيين، والكتبة[٣٦]، الذين استنكفوا واستكبروا عن قبول الحق، وأخذتهم العزة بالإثم، وسعوا لدى الحاكم الروماني في قتله وصلبه، من بعد ما جاءتهم البينات. وأمر هؤلاء المحرومين المخذولين، بيِّن واضح.

---

(٣٥) تفسير القرآن العظيم: (٧ / ٢٦٩ – ٢٧٠).

(٣٦) الصدوقيون: هم حزب الكهنة، والمسؤولون عن العبادة في الهيكل، وكانوا طبقة ارستقراطية محافظة، متمسكين بالأسفار الخمسة، رافضين للمرويات الشفوية الأخرى، وكانوا ألد أعداء المسيح، وسعوا في تسليمه للرومان. والفرّيسيون: جماعة دينية تنزع نحو التقشف، كرَّسوا أنفسهم لدراسة وتفسير الناموس، كانوا أكثر تحررًا في فهم الناموس من الصدوقيين. الكتبة: جماعة دينية معنية بكتابة الناموس وتفسيره، وكثير منهم من الفريسيين. انظر: تاريخ الكنيسة: جون لوريمر: (٣٥ – ٣٦).

الثاني: الذين غلوا فيه، ورفعوه فوق منزلته، واعتقدوا أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة. وقد ظهر هؤلاء الغلاة في عهده، مما أحوجه عليه السلام، إلى تحذيرهم بخطاب حاسم، فقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٦].

وأما المؤمنون المهتدون فهم مراتب وأطباق، ومن أبرزهم:

أولًا: **الحواريون**: الذين شرح الله صدورهم للإيمان، وندبهم إليه، فقال: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١١]، ولما شعر عيسى، عليه السلام، بكفر يهود، استنهضهم وناداهم، كما قال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٣]، فشهدوا شهادة الحق، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. ويسمون في الأناجيل المتداولة (التلاميذ) و (الشهود) و (الرسل). والمشهور أنهم اثنا عشر.

ففي إنجيل مَتى: (ودعا تلاميذه الاثني عشر، فأولاهم سلطانًا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كل مرض وعلة. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر: أولهم سِمعان الذي يقال له بطرس، وأَندَراوُس أخوه، فيعقوب بن زَبَدى ويوحنا أخوه، ففيلِبُّس وبَرتُلماوس، فتوما ومتى العشار، فيعقوب بن حَلْفى وتدَّاوُس، فسِمعان الغيور، ويهوذا الإسخريوطي، ذاك الذي أسلمه. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وأوصاهم قال: لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين ولا تدخلوا مدينةً للسامريين بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل)[٣٧].

فهولاء خاصة أصحابه، رضي الله عنهم، باستثناء يهوذا الإسخريوطي الخائن المفتون، الذي جرى استبداله لاحقًا من قبل جماعتهم بـ(متياس). وقد أفنى هؤلاء الحواريون الكرام أعمارهم في الدعوة إلى الله، وأوذوا في ذات الله، وكثير منهم مات شهيدًا[٣٨].

وحاشاهم، رضي الله عنهم، ما تنسبه إليهم بعض الأناجيل والرسائل المكونة لـ (العهد الجديد) من ألفاظ الكفر؛ كوصف عيسى عليه السلام بالرب، والابن، ونحو ذلك، فإن هذا مما أدخله أتباع بولس من تحريف. بل إنا نجد في بعضها التصريح بالتوحيد، كما في "عظة بطرس للشعب": (إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إلهَ آبائنا، قد مجَّد عبده يسوع)[٣٩].

ثانيًا: الصحابة : وهم الذين لازموا المسيح، عليه السلام، مدة مقامه في الأرض، ولم يبلغوا رتبة الحواريين الذين اختارهم بنفسه. ويذكر بعض اللاهوتيين أن

(٣٧) إنجيل متى: (١٠: ١-٧)، وانظر أيضًا: إنجيل مرقس: (٣: ١٣-٢٠)، وإنجيل لوقا:(٦ : ١٢- ١٦).

(٣٨) انظر في سيرهم : مختصر تاريخ الكنيسة : أندرو ملر: (٤١- ٥٦).

(٣٩) أعمال الرسل : (٣ : ١٣).

عدد هؤلاء سبعون[٤٠]. وحين جرى اختيار "متيًّا" خلفًا لـ "يهوذا الإسخريوطي" خطب بطرس في جمع محتشد من الناس يبلغون مائة وعشرين، فكان مما قال: (هناك رجال صحبونا طوال المدة التي أقام فيها ... يسوع معنا، مذ أن عمَّد يوحنا إلى يوم رفع عنا. فيجب إذًا أن يكون واحدٌ منهم شاهدًا معنا على قيامته ... ثم اقترعوا، فوقعت القرعة على متيًّا، فضُمَّ إلى الرسل الأحد عشر)[٤١]. فدلَّ ذلك على خصوصية هؤلاء.

ثالثًا: سائر المؤمنين: وهم كثير يعدون بالآلاف. فقد آمن به كثيرون قبل رفعه، وآمن به كثيرون بعد رفعه. ففي موعظة بطرس يوم الخمسين (الذين قبلوا كلامه اعتمدوا، فانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس)[٤٢]. وقد لقي هؤلاء في ذات الله من الابتلاء واللأواء أمرًا عظيمًا، واتخذ الله منهم شهداء. ومن أولهم شهادة: "إسطفانس"، الذي رجمه يهود أورشليم (وهو يدعو فيقول: ربَّ يسوع، تقبل روحي)[٤٣].

يقول جون لوريمر: (ومن ذلك الوقت وجدت السلطاتُ الشجاعةَ الكافية لاضطهاد المسيحيين علنًا. وكان الشخص الذي تزعم هذه الحملة المروعة هو "شاول الطرسوسي" الذي نشر الاضطهاد في أورشليم والبلاد التي حولها. وبدأ الاضطهاد اليهودي يزداد)[٤٤] قلت: وهو الذي اتخذوه لاحقًا قديسًا، بل ربًا، كما قال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) [التوبة: ٣١].

---

(٤٠) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة: أندرو ملر: (٥٥).

(٤١) أعمال الرسل: (١: ٢١، ٢٢، ٢٦).

(٤٢) أعمال الرسل: (٢: ٤١).

(٤٣) أعمال الرسل: (٧: ٥٩).

(٤٤) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر (٥٥).

لقد كانت بذور الاختلاف بين المنتمين إلى عيسى، عليه السلام، مبكرة، وظلت تنمو في تربة قابلة للتغذية بمختلف المواد. وذلك أن عيسى، عليه السلام، كان هاديًا ومعلمًا وواعظًا، يتقلب بين بيت المقدس، وبلدات فلسطين، يدعو إلى الله، (الخراف الضالة من بيت إسرائيل)[٤٥]. ولم يكن، عليه السلام، مأمورًا بتأسيس دولة، والخروج المسلح على الحكم الروماني، كما تسعى طائفة "الغيورين"[٤٦] من بني إسرائيل، ولا حتى الانحياز بأتباعه نحو عزلة مجتمعية خاصة، كما فعلت طائفة "الأسينيين"[٤٧]، بل كان يعيش بين ظهراني بني إسرائيل، وينتقد الأحزاب اليهودية؛ كالصدوقيين، والفريسيين، الخارجة عن مقاصد الشريعة، وناموس موسى عليه السلام. وهذه حقيقة تواتر على وصفها جميع مؤرخي النصرانية.

يقول جون لوريمر: (كان يسوع يهوديًا[٤٨]، يحترم ناموس موسى، وعادات الناس، ويحافظ على المواسم والأعياد، عيَّد عيد الفصح، وحضر العبادة في المجمع والهيكل ... ورفض أن يتوافق مع الأحزاب الكبرى، فلم ينعزل مع الأسينيين، ولا أن يقوم بثورته مع الغيورين، وأظهر سخطه على الكهنة والصدوقيين وطرقهم، وهاجم الكتبة والفريسيين علنًا، واتهمهم بأنهم قادة عميان، وقبور مبيضة ... ومع ذلك لم

---

(٤٥) إنجيل متى : (١٥: ٢٤).

(٤٦) جماعة دينية سياسية، يتسمون بالإخلاص لله، والحمية للدين، والغضب ضد الأصنام وكسر الناموس. وكانوا يسعون للثورة ضد الرومان. انظر : تاريخ الكنيسة : جون لوريمر : (٣٦).

(٤٧) جماعة متصوفة تقية، ترجع إلى طائفة "الهيسيديم"، يعيشون حياة رهبانية صارمة في مستوطنات خاصة. انظر: تاريخ الكنيسة : جون لوريمر : (٣٦ — ٣٧).

(٤٨) لم يكن عيسى، عليه السلام، يهوديًا، كما لم يكن إبراهيم، عليه السلام، يهوديًا ولا نصرانيًا، بل كان كل منهما، وسائر أنبياء الله، حنيفًا مسلمًا. ومقصود الكاتب أنه كان قابلًا لما جاء به موسى، عليه السلام، في التوراة، موافقًا لما جرى عليه اليهود من عبادات ومناسبات في دينهم. قال تعالى: (ومصدقًا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم).

يذكر يسوع تفاصيل بناء وإدارة وممارسات الكنيسة المقبلة ...يكفينا أن نقول: إن التخطيط لمنظمة خاصة يطلق عليها الكنيسة لم يكن في حياة المسيح هو الهدف الأول)(٤٩).

وكذلك كان أتباعه من الحواريين، إبان وجوده، وبعد رفعه، عليه السلام، يخالطون الناس، ويصلون في المسجد، ويشهدون الأعياد والمواسم المختلفة، فكانوا من جملة الناس، ولم يتخذوا بادئ الأمر كنيسًا يختص بهم، حتى طردهم اليهود من بيعهم ومجامعهم. يقول جون لوريمر، واصفًا حالهم بعد رفع المسيح، عليه السلام: (كانوا يعتقدون أن لهم الحق في الهيكل، وفي الوعظ فيه، ويؤكدون أنهم لا ينادون بديانة، أو جماعة جديدة، ولكنهم يعملون على إرجاع إسرائيل إلى المعنى الأساسي الذي أعلنه يسوع)(٥٠). وهكذا كان ينظر إليهم، كما يصف لوريمر: (ظهرت المسيحية على أنها حركة شعبية داخل اليهودية، ظهرت في أورشليم. انضم إليها الكثيرون من اليهود دون خوف من تدخل السلطات ضدهم؛ سواء أكانت سلطات يهودية أم رومانية. فالرومان لم يفرقوا بين المسيحية واليهودية)(٥١).

لقد أدت هذه الخلطة، وعدم التميز بين المنتسبين للمسيح، عليه السلام، إلى تسلل بعض المضلِّين الحاقدين، والتظاهر باتباعه، بغرض إفساد دين المسيح، ولهذا قال عمر، رضي الله عنه، في حديث التأريخ: (الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخو بها)(٥٢). ساعد على ذلك أجواء الخوف والإرهاب التي كان يمارسها الرومان

---

(٤٩) تاريخ الكنيسة . جون لوريمر. ط: دار الثقافة. القاهرة : (١/ ٤٣-٤٤).

(٥٠) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر: (٥١). وانظر في ذلك أيضًا: أعمال الرسل:(٢: ٤٤- ٤٧).

(٥١) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر : (٥٤).

(٥٢) انظر : فتح الباري : (٧ / ٢٦٨).

من جهة، واليهود من جهة أخرى، مما حال بين العامة وبين الحواريين، وأتاح للمضلين التأثير فيهم باسم الإيمان بالمسيح، والشهادة له.

وكان من أبرز هؤلاء الضالين المضلين "شاول الطرسوسي" الذي بات لاحقًا "القديس بولس" في نظر أتباعه، ومنحوه منزلةً وتأثيرًا لم ينلها المسيح نفسه لديهم، فضلًا عن الحواريين. يقول أندرو ملر: (لا توجد حادثة في تاريخ الكنيسة عادت بالبركة والنجاح مثل اهتداء شاول ... ولم تكن إرساليته ترتبط بأورشليم، ولا بالاثني عشر! إذ أن إرساليته كانت غير عادية، فقد أخذها من الرب مباشرة، وهو في السماء! لذلك كان له امتياز إعلان الحقائق الجديدة عن الصفة السماوية للكنيسة ... ولا توجد أقل شبهة في كون دعوة الرسول بولس سماوية ... ويمكننا أن نعتبر رسالته من جانب معين أسمى من رسالة الاثني عشر! فأولئك دعاهم الرب يسوع وهو على الأرض، أما هذا فقد دعاه المسيح المقام الممجد في السماء. وبما أن دعوته كانت سماوية، فما احتاج إلى تصديق من الرسل، ولا إلى اعتراف بها من الناس)(٥٣).

هكذا يسوِّغ "النصارى الضالون" عبث بولس بدين المسيح، وإخراجه عن سمت التوحيد، وهكذا يلتفون على كبار الحواريين، المتوجسين من بولس، المنكرين لزيغه وضلالته، ويصورونهم دونه في الرتبة، وأنه يستمد إرساليته من السماء. وما أشبه ذلك بدعوى زنادقة الصوفية القائلين: حدثني قلبي عن ربي! النابزين لأهل الحديث والأثر: تحدثون عن الأموات، ونحن نحدث عن الحي الذي لا يموت!.

لقد أحس كبار الحواريين، وتلامذة المسيح من "شاول اليهودي" الكفر، كما أحس عيسى، عليه السلام، من اليهود الكفر. وكان "برنابا" رضي الله عنه، اغتر به أولًا، وزكاه لدى الحواريين، بعد رجوعه من دمشق: (ولَّما وصل على أورشليم

(٥٣) مختصر تاريخ الكنيسة: أندرو ملر: (٣٨- ٤٠).

حاول أن ينضم على التلاميذ، فكانوا كلهم يخافونه، غير مصدقين أنه تلميذ. فأخذ برنابا بيده، وسار به إلى الرسل)[٥٤] وحكى لهم قصته المزعومة في رؤية المسيح على طريق دمشق، ووصيته له. ثم لم يلبث برنابا أن انطلق معه في رحلة دعوية، فوقع بينهما خلاف شديد، يصوره سفر أعمال الرسل بأنه خلاف شخصي يتعلق بترشيح من يصحبهما! وحقيقة الأمر أنه ظهر لبرنابا من فساد طوية بولس ما أوجب مفارقته.

وقد ألَّف برنابا إنجيله للتحذير من ضلالات بولس. جاء في مستهله: (برنابا رسول يسوع الناصري، المسمى المسيح، يتمنى لجميع سكان الأرض سلامًا وعزاءً. أيها الأعزاء: إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمة عظيمة، للتعاليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح "ابن الله"، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائمًا، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم، أيضًا، بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان، فتهلكوا في دينونة الله. وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه، لتخلصوا خلاصًا أبديًا. وليكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان، ومن كل شر.آمين)[٥٥]. وقال في ختامه: (وآخرون بشروا، ولا يزالون يبشرون، أن يسوع هو "ابن الله" وقد خدع في عدادهم بولص)[٥٦].

وعامة مؤرخي الكنيسة من أتباع مذهب بولس، يتعامون عن الحقائق الساطعة التي تبرئ الحواريين، والنصارى الأوائل من بدع بولس، وتبقيهم على أصل

(٥٤) أعمال الرسل : (٩ : ٢٦– ٢٧)، وانظر ما قبلها (٩ : ١– ٢٥).

(٥٥) إنجيل برنابا : ترجمة د. خليل سعادة : (٣٧– ٣٨).

(٥٦) إنجيل برنابا : ترجمة د. خليل سعادة : (٢٩٧).

التوحيد، فيحاولون وصمهم بلقب (المتهودين)، ونبزهم بالتزمت والتطرف، وتلقيبهم بـ(أساقفة الختان)، ويعتبرونهم مشكلة! رغم إقرارهم بأنهم أولى الناس بعيسى ابن مريم، بل يعدونهم أهل بيته، لا سيما عمدتهم وكبيرهم (يعقوب بن حلفى) الذي يسمونه (أخ الرب). يقول أندرو ملر، واصفًا إياه: (كان معدودًا من الأعمدة في كنيسة أورشليم، وأنه هو كاتب الرسالة المدعوة باسمه، وأنه هو أخو الرب، وأنه هو الملقب بالصديق والبار ... نلاحظ مساواته ببطرس كرسول، وقد كان في هذا الوقت أسقفًا "ناظرًا" في الكنيسة في أورشليم، وهو لم ينقص شيئًا عن فائقي الرسل ... ثم في سنة خمسين بعد الميلاد نجده في المجمع الرسولي ناطقًا بلسان الجماعة بحكمها ... فيتضح من ذلك أنه بلغ درجة عالية، وأخذ شهرةً واسمًا بينهم)[٥٧]. وبعد هذا الإطراء الذي يستحقه، رضي الله عنه، وبعد هذا الاعتراف والإقرار الصريح بفضله وتقدمه ورياسته وإمامته في الدين، يلمزه بقوله: (على أن تعلقه باليهودية كان شديدًا، ويظهر أن تقدمه في المسيحية كان بطيئًا وتدريجيًا. وقد كان هو وبولس على طرفي نقيض)![٥٨]. ذلك أن "المسيحية" التي يؤمن بها هؤلاء دين بولس، لا دين المسيح.

وها هو جون لوريمر يصف نشأة الكنيسة الأولى في أورشليم، قائلًا: (ثم بدأ اسم يعقوب، أخي الرب، في الظهور بين أسماء القادة. أصبح واحدًا من الأعمدة، ورئيسًا في مجمع أورشليم، ثم قائدًا للكنيسة في أورشليم)[٥٩]. وأحسب أن هذا الإطراء كافٍ لدى أي عاقل باعتبار "يعقوب" رضي الله عنه، والملتفين حوله من الحواريين والمؤمنين، خلفاء أمناء على دين المسيح، سائرين على نهجه، متبعين لهديه. إلا أن

---

(٥٧) مختصر تاريخ الكنيسة : أندرو ملر: (٥٣).

(٥٨) تاريخ الكنيسة : جون ملر : (٥٣).

(٥٩) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر: (٥٣).

العجب لا ينقضي حين يعتبرهم الكاتب، وغيره من مؤرخي الكنيسة "مشكلة"! فيقول: (مشكلة حادة في الكنيسة الأولى، وهي مشكلة "التهوديين"...كان يوجد في أورشليم البعض من "أهل الختان" ذلك الحزب المتزمت ... ومهما كانت أسباب الانقسام، فقد بقيت هذه القضية، قضية التهودية، تثار من آن لآخر بواسطة الجماعة المحافظة في كنيسة أورشليم، وظلت هذه الجماعة تثير الجدل حول هذه القضية حتى ٦٦م حين فرت إلى بيلا "Pella" ... ولكن عندما زاد الانقسام صار من الضروري أن يبحث الأمر في مجمع للكنيسة في أورشليم ليتخذ فيها قرارًا حاسمًا... ولكن مما يؤسف له أن هذه المشكلة استمرت مصدر قلق للكنيسة، حتى بعد مجمع أورشليم؛ لأن ذلك الحزب المحافظ المتزمت في أورشليم استمر في موقفه المتعنت...لا نعرف من "العهد الجديد" طول المدة التي استمرت فيها قضية التهوديين مشتعلة داخل الكنيسة. لكن ما نعرفه هو أن الرسول بولس هو الذي حارب، واستطاع أن يعيد التوازن إلى الكنيسة كمؤسسة لا يحتاج من يدخل فيها، وينضم إليها، سوى الإيمان بالمسيح يسوع)[٦٠].

هكذا سعى بولس إلى تجريد دين المسيح من الشريعة، في ضرب من "الإرجاء" الذي يقصر حقيقة الإيمان على الجانب العلمي، دون العملي، ويتنصل من "الناموس" الذي جاء به موسى، وصدَّق له عيسى، عليهما السلام. وفضلًا عن ذلك، وأدهى وأَمَرُّ، أن ذلك الإيمان المزعوم مبناه على الغلو والكفر، والقول بالحلول، والتجسد، والبنوة، والتثليث، في قوالب فلسفية، لا تمت لما جاء به المسيح بصلة.

ويرسم كاتب "المسيحية في العالم العربي" كغيره من أتباع المذهب البولسي، صورة النصارى الأولين الصادقين، الرافضين لبدع بولس، بصورة جائرة؛ تجعل من القاعدة شذوذًا، ومن الشذوذ قاعدة! فيقول: (وقدامى مؤرخي الكنيسة، أسموا

---

(٦٠) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر: (٦٦- ٦٩).

يعقوب ابن يوسف وخلفاءه (أساقفة الختان) يوسابيوس: ٤ : ٥ ، لا لأنهم كانوا أنفسهم أيضًا مختونين، كونهم إسرائيليين، بل لأن الكنيسة التي قادوها كانت تعتبر نفسها جماعة دينية إسرائيلية أصولية، تعتز بتشددها في اتباع شريعة موسى، وفي جعل الختان ملزمًا لجميع الذكور من سائر "الأمم" الذين يختارون اتباع مذهبهم.

لم يختلف مذهب هؤلاء "النصارى" عن اليهودية إلا قليلًا. وأهم اختلاف أن "النصارى" اعترفوا بيسوع الناصري "مسيح الوعد"، في حين أن اليهود لم يقروا بذلك. ولهذا السبب أنكر اليهود على "النصارى" مذهبهم، وصنفوهم على أنهم "مينيم"، هي لفظة عبرية تعني "منشقين" أو "هراقطة". أما بالنسبة إلى شريعة موسى، فقد كان تمسك النصارى بتفاصيلها، بل على نحو أدق بحذافيرها، كتمسك أكثر اليهود تشددًا. وهم على التقائهم كأبناء "كنيسة"، باليونانية ekklesia أي: جماعة، لها مذهبها الخاص، استمروا يقيمون عباداتهم في كنس اليهود حتى نحو ٨٠ م، عندما منع اليهود جماعات "المينيم" من استعمال كنسهم. وعندما أخرج الإمبراطور الروماني "هدريان" اليهود من أورشليم عام ١٣٥ م، كان "النصارى" من جملة من أخرج من المدينة، على أساس أنهم ليسوا إلا فرقة من فرق اليهود. ومع جلاء "النصارى" عن أورشليم ذلك العام، انتهت سلالة "أساقفة الختان" فيها... وبانقضاء هذا المذهب ازدادت الفرص لانتشار المسيحية بدلًا من أن تتضاءل.

زالت كنيسة "أساقفة الختان" عام ١٣٥ م، لكن مبادئ مذهبها بقيت حية قرونًا عدة بين فرق من المسيحيين، احتفظ بعضها باسم "النصارى"...

هذا المذهب في المسيحية، وهو الذي كان في الأصل مذهب أتباع "أساقفة الختان"، لم يدم طويلًا بعد ظهور الإسلام. ولم يكن في أي وقت دين الأكثرية من

المسيحيين[٦١]. أما المذهب المسيحي الذي ساد واستمر ليصبح دينًا عالميًا، فكان مذهب "بولس". وقد اختلف "بولس" مع "الرسل" الذين أسسوا جماعة "النصارى" في أورشليم، حول مسألة شريعة موسى والختان. فقال بولس: إن مجيء يسوع كمسيح أزلي أبدي للبشرية جمعاء، ينسخ "الناموس" أي شريعة موسى، بحيث يصبح بإمكان أبناء "الأمم" أن يقبلوا "الإنجيل"، أي البشارة، ويصبحوا مسيحيين، من دون أن يختتنوا. والرسل "النصارى" في أورشليم ظلوا يصرون على الختان. ولمَّا لم يتوصل الفريقان إلى اتفاق في هذا الأمر، سار كل طرف في طريقه. ومضى بولس وأصحابه يبشرون بالمسيحية على طريقتهم الخاصة بين "الأمم" في جميع أرجاء العالم الروماني، والمناطق المتاخمة له. أما الرسل "النصارى" الأورشليميون، وعلى رأسهم يعقوب بن يوسف، وبطرس، ويوحنا، فبقوا يعملون أكثر ما يكون بين اليهود)[٦٢].

لقد كان السواد الأعظم من النصارى الأولين، على الإيمان والتوحيد، وكان لكبار الحواريين حضورهم القوي، ومرجعيتهم المطلقة لدى أتباع المسيح، عليه السلام، الأمر الذي أزعج أتباع بولس، فظلَّوا ينبذونهم، على علو مقامهم، بـ "التهوديين"، ويصفونهم بأنهم "مشكلة"! ويعتبرونهم حجر عثرة أمام مشروع بولس التحريفي العالمي. وكان من دواعي سرورهم، الذي لا يخفونه، انحلال كنيسة أورشليم، التي تمثل أتباع المسيح الصادقين، على يد الرومان، إثر ثورة اليهود، وتدمير أورشليم سنة ٧٠ م. يقول جون لوريمر: (إن الحوادث التي جرت فيما بين ٦٠ -٧٠م كان لها أكبر الأثر في الكنيسة المسيحية. فقبل ذلك كانت الكنيسة في أورشليم هي المرجع في كل القرارات الكنسية. فكانت الكنيسة "يهودية" بالهوية. حتى

(٦١) بل كان كذلك زمن المسيح، عليه السلام، والحواريين، وكبار التلاميذ.

(٦٢) المسيحية في العالم العربي: (٢٣ – ٢٧).

الرسول بولس نفسه لم يستطع أن يتعامل مع قضية التهوديين إلا بالرجوع إلى أورشليم. ومع ذلك فقد ظلت هذه القضية سببًا في خلق جو التوتر في الكنيسة حتى بعد مجمع أورشليم نفسه؛ ولهذا فقد تأثرت الكنيسة في كل العالم عندما سقطت أورشليم، إذ لم يعد لها الأهمية ولا السلطان السابقان. ولكن هذا كان لخير الكنيسة نفسها، فقد تحررت لتؤدي رسالتها، إذ تحطمت قبضة التهوديين عنها)[٦٣].

هكذا خلا الجو، نسبيًا، للنصارى الضالين، أتباع بولس، لنشر بدعهم العقدية والعملية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، غير أنه بقي بقية من النصارى المهتدين، أتباع المسيح، عليه السلام، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥]. فأين ذهب أولئك المهتدون إثر تدمير أورشليم؟ يقول المؤرخ يوسابيوس: (إن صوتًا إلهيًا حذرهم من أن الثورة ستبدأ، وأنهم يجب أن يلجئوا إلى "بيلا" ليحتموا فيها)[٦٤]. وظلوا، رحمهم الله، محافظين على دينهم، والعمل بالتوراة والإنجيل معًا، مما أحفظ مؤرخي الكنيسة البولسية المتحللة من الناموس، من أمثال جون لوريمر، حيث يقول: (يستطيع الدارس أن يلمس أن انعزال الكنيسة في اليهودية بدأ يزداد سنة بعد سنة، فلم تستطع أن تتحلل من المطالبة بحفظ الناموس كشرط أساسي للانضمام إليها. وتذكر بعض السجلات اللاحقة أن هذه الكنيسة، أو جزء منها قد تحول إلى ما عرف بعد ذلك بالكنيسة الأبيونية "Ebionite بمعنى فقير" وقد تغيرت عقيدتهم الأولى: فقد سموا أنفسهم

---

(٦٣) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر: (٧٩- ٨٠).

(٦٤) التاريخ الكنسي: يوسابيوس: (٢/٢٣: ١- ٢٥).

مسيحيين، مع أنهم أنكروا ميلاد المسيح العذراوي، ولم يقبلوا إلا إنجيل متى من الأناجيل الأربعة، وأنكروا بشدة كتابات الرسول بولس، وكانوا يولون وجوههم نحو أورشليم في صلاتهم. وفي كل الأشياء كانوا يتبعون حرفية الناموس الموسوي. وفي النهاية صارت هذه الاختلافات والانعزال والانغلاق سببا في زوال تلك الجماعة من الوجود)(٦٥).

وأتباع بولس، على اختلاف طوائفهم، يعدون "الأبيونيين" من الهراطقة المبتدعة. يقول الأسقف القبطي الأنبا إيسيذورس، في مسرد المبتدعة: (الثاني: إبيون، وقد ظهر بعد خراب أورشليم. وعلَّم بأن المسيح لم يكن إلهًا، بل كان إنسانًا، ولد بالطبيعة من مريم ويوسف، وأن الإيمان بلا حفظ ناموس موسى كالختان وحفظ السبت لا يفيد شيئًا. ثم نقض تعليمه، وعلَّم بخلافه! وسار إلى رومية، وكان يقدم في سر"الافخارستيا" الخمر الصرف والفطير)(٦٦).

ولا نستطيع الجزم بصحة كل ما يقولونه عنهم، فهم خصوم، سوى ما شهدوا به لهم من بشرية المسيح، وإنكار ألوهيته، ومحافظتهم على الشريعة. والله أعلم.

لقد كان لنشاط بولس الخارق، لدى الأمميين، والتزام الحواريين بوصية المسيح، بالاقتصار على دعوة بني إسرائيل، واضطهاد الرومان، ومكايد اليهود، أثر بالغ في تفتيت جماعة "النصارى المهديين"، ورجحان كفة "النصارى الضالين". وقد كابد الفريقان معاناة متماثلة إبان قرون الاضطهاد الثلاثة، تحت نير الحكم الروماني الوثني،

---

(٦٥) تاريخ الكنيسة: جون لوريمر: (٨٠). وقد ذكر أن "بيلا" (ظلت مركزًا كبيرًا للمسيحيين إلى أواخر القرن السادس الميلادي). (٧٩) (حاشية).

(٦٦) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: الأنبا إيسيذورس القبطي: (١ / ٩٤).

وكانت قاصمة الظهر حين تظاهر "قسطنطين الكبير" باعتناق النصرانية البولسية، لدواع يطول ذكرها، فتوثنت النصرانية، ولم تتنصر الوثنية[٦٧].

لقد تكشف المشهد، مطلع القرن الرابع الميلادي، عن خليط متناقض من العقائد، والفرق، والأناجيل، يناقض بعضها بعضًا، ويكفر بعضها ببعض، ويلعن بعضها بعضًا، ويسفك بعضها دماء بعض. وأراد قسطنطين أن يحقق وحدة دينية، تتسع للموروث الروماني واليوناني، الوثني، فوجد بغيته في عقيدة بولس. ولم يكن أتباع بولس، أهل التثليث، والحلول، والتجسد، والبنوة، حينذاك يمثلون أكثرية النصارى، بل كان هناك اتجاه يضاهيه، أقرب إلى التوحيد، يتزعمه كاهن يقال له "آريوس".

دعا "قسطنطين" إلى عقد مجمع مسكوني في "نيقية" سنة ٣٢٥م، ليسيِّد الاتجاه المحبذ لديه. وشهده ألفان وثمانمائة وأربعون أسقفًا، لمناقشة عقيدة "آريوس" الرافضة للمساواة بين "الله" و "المسيح"، وشارك فيها "آريوس" نفسه. وكانت الكفة في صالح الموحدين، غير أن "قسطنطين" رجح كفة الأقلية، من أتباع بولس، وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا، فقط! وأقصى مخالفيهم، وفوض إليهم صياغة "قانون الإيمان"، الذي صار لاحقًا، دستور كل نصراني على وجه الأرض. وفضلًا عن ذلك، وحتى يضمن الضالون إطفاء نور التوحيد، وإسكات أي بادرة خلاف حول هذه القضية الأم، فقد (أمر قسطنطين في الرسالة التي وجهها بعد المجمع، إلى جميع الأساقفة والشعوب، أن تحرق تآليف آريوس، ويهدد بالموت كل من يخفيها)[٦٨].

---

(٦٧) انظر في هذا ما كتبه القاص المعاصر "دان براون" في روايته الذائعة الصيت (شفرة دافنتشي) من تحليل بديع لدوافع قسطنطين، وحقيقة تنصره.

(٦٨) تاريخ الكنيسة المسيحية : سميرنوف : (٢٢٨).

وظل الكتاب البولسيون من مؤرخي الكنيسة، يدينون "آريوس" ويعدون مقالته بدعة وهرطقة. وهكذا تحدث الأب اليسوعي موريس بيار مارتان، فقال: (وقد شهد القرن الرابع بوجه خاص في الإسكندرية عينها ولادة بدعة "أريوس". وكان آريوس كاهنًا في تلك المدينة، فادعى أن الكلمة في الثالوث الأقدس غير مساوٍ للأب في الأزلية. وقد أدان مجمع نيقيا الآريوسية عام ٣٢٥)(٦٩).

وبذلك تمت مصادرة "الدين الحق"، واندثرت الطوائف التي لا تتوافق مع "قانون الإيمان النيقاوي"، واجتاحتها تيارات التثليث البولسي المؤيد بسيف السلطان، وانطفأ بصيص الأمل الذي كان يمثله الآريوسيين. وبقي النصارى الضالون يخبطون في التيه، ويعقدون المجمع تلو المجمع، وينفضُّون عن لاعن وملعون(٧٠).

وقد أدى ذلك الاضطهاد المزدوج، من اليهود والرومان، إلى تشتيت أتباع المسيح الصادقين، وبحثهم عن ملاذات آمنة، يعبدون الله فيها، وينأون بأنفسهم عن الفتنة، فأوى بعضهم إلى الصوامع والديَّارات، ونشأت "الرهبنة" التي ذكرها الله في صفتهم: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧].

---

(٦٩) الكنيسة القبطية: الأب موريس بيار مارتان اليسوعي. نقله إلى العربية: جورج عازار. دار المشرق. بيروت ١٩٩٢م. (١٠ – ١١).

(٧٠) انظر في تاريخ المجامع النصرانية: تاريخ الكنيسة المسيحية لسميرنوف (٢٢٠-٢٩٦)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم:(٣٨٤-٣٩٦)، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (٣١٨-٣٤٦) ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة :(١٢٠-١٤٨).

جاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، الذي بعث به إلى هرقل، عظيم الروم : (فإن توليت فإن عليك إثم "الأرِيسِيِّين")[٧١]. وقد ذكر جمع من الشُّرَّاح أن هؤلاء فرقة من فرق النصارى :

١ - قال القاضي عياض، رحمه الله : (وفى كتاب ابن السكن فى تفسيره : يعنى اليهود والنصارى، قيل : هم أتباع عبد الله بن أريس، وهذا الذى ينسب إليه الأروسية من النصارى، ولهم مقالة معروفة فى عيسى - عليه السلام - ويقال لهم : " الأروسيون " أيضاً، وهم لا يقولون بإلهية عيسى، متمسكون - أيضاً - بما كان عليه)[٧٢].

٢ - وقال النووي، رحمه الله، في حكاية الأقوال فيهم : (الثَّانِي أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرِيسٍ، الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ الْأَرُوسِيَّةُ مِنَ النَّصَارَى. وَلَهُمْ مَقَالَةٌ فِي كُتُبِ الْمَقَالَاتِ وَيُقَالُ لَهُمْ الْأَرُوسِيُّونَ)[٧٣].

٣ - وقال ابن حجر، رحمه الله : (وَذكر ابن حَزْمٍ أَنَّ أَتْبَاعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرِيسٍ كَانُوا أَهْلَ مَمْلَكَةِ هِرَقْلَ. وَرَدَّهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْأَرِيسِيِّينَ كَانُوا قَلِيلًا، وَمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ رَأْيَهُمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ التَّثْلِيثَ. وَمَا أَظُنُّ قَوْلَ ابن حَزْمٍ إِلَّا عَنْ أَصْلٍ فَإِنَّهُ لَا يُجَازِفُ فِي النَّقْلِ)[٧٤].

(٧١) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم(١/٨) رقم الحديث (٧).

(٧٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) (٦/ ١٢٠).

(٧٣) شرح النووي على مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت ٦٧٦هـ) (١٢/ ١٠٩).

(٧٤) فتح الباري لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) (٨/ ٢٢١).

٤ - وقال ابن قرقول، رحمه الله: (وقيل: هم الأَرُوسِيُّون، وهم نصارى، أتباع عبد الله بن أروس، وهم الأروسية، متمسكون بدين عيسى، لا يقولون: هو ابن)[٧٥].

٥ - وقال البرماوي، رحمه الله: (وقيل: هم -على رواية الهمْز - أَتباع عبد الله بن أَرِيْس الّذي وحَّد اللهَ عندما تفرَّقت النَّصارى)[٧٦].

٦ - وقال التوربشتي: (وقال بعض أهل المعرفة بهذا الشأن: إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، توحد الله وتعترف بعبودية المسيح، وبما هو الحق فيه)[٧٧].

ولا نستطيع القطع أيضًا، بصواب جميع مقالة "آريوس"، لكننا نجزم أنه كان ضد تأليه المسيح، وحسبانه مساويًا للرب تعالى، ولذلك عاداه أتباع بولس، وحرقوا كتبه، وقتلوا أصحابه. وربما شاب بعض أقواله شائبة بدعة. فالله أعلم بحاله.

لقد كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فتحًا مبينًا، وفرجًا عظيمًا، للبشرية كافةً؛ مشركهم وكتابيِّهم، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ١ - ٥]، ولأهل الكتاب خاصة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ

(٧٥) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لإبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت ٥٦٩هـ) (١/ ٢٤١).

(٧٦) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لمحمد بن عبد الدائم النعيمي الشافعي (ت ٨٣١ هـ) (١/ ٩٧).

(٧٧) الميسر في شرح مصابيح السنة لفضل الله بن حسن بن يوسف، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (ت٦٦١ هـ) (٣/ ٨٩٦).

يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦]، وللنصارى المؤمنين بشكل أخص، كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف: ١٤]، فقد روى ابن جرير الطبري، بسنده، عن ابن عباس، قال: "لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج إلي أصحابه، وهم في بيت، اثنا عشر رجلًا، من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء، قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرّة، بعد أن آمن بي! قال: ثم قال: أيكم يُلقى عليه شبهي، فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنًا، قال: فقال: أنا، فقال له: اجلس؛ ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال أنا؛ قال: نعم، أنت ذاك. فألقى عليه شبه عيسى، ورُفع عيسى من رَوْزَنَة في البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه، فقتلوه، وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرّة، بعد أن آمن به. فتفرّقوا ثلاث فرق: فقالت فرقة: كان "الله" فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا "ابن الله" ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا "عبد الله ورسوله" ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوها. فلم يزل الإسلام طامسًا، حتى بعث الله محمدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، "فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ"، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين. وقوله: ﴿ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ يقول: فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم الذي كفروا منهم بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بتصديقه إياهم، أن عيسى عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال هو

إله، ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره، ﴿ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾: فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدّوهم الكافرين منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ❖ ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله الهلالي، قال: ثنا أَبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أَبي نجيح، عن مجاهد (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ) قال: قوّينا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم "فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ" قال: لما بعث الله محمدًا، ونزل تصديق من آمن بعيسى، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة.

حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك، عن إبراهيم، في قوله: "فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" قال: أيدوا بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فصدّقهم، وأخبر بحجتهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، في قوله: "فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" قال: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كلمة الله وروحه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أَبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أَبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: "فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" من آمن مع عيسى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم)[٧٨].

ونقل ذلك عنه الحافظ ابن كثير، وقال: (هَذَا لَفْظُهُ فِي كِتَابِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ[٧٩] عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُنَنِهِ، عَنْ

(٧٨) جامع البيان (٢٨ : ٩٢ – ٩٣).

(٧٩) السنن الكبرى للنسائي: كتاب التفسير – سورة الصف (٤٨٩/٦)، رقم(١١٥٩١).

أَبِي كُرَيْب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، بِمِثْلِهِ سَوَاءً. فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَحَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ مَعَ الْمَسِيحِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ، وَاللَّهُ أعلم)[٨٠].

فلا غرو، إذاً، أن يبتهج مؤمنو أهل الكتاب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ويغتبطوا بها، ويرون فيها امتدادًا للرسالات الإلهية المتتابعة، فيؤمنوا ويصدقوا، وينالوا أجرهم مرتين بما صبروا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥١ -٥٥] لقد كانت مؤهلات القبول متوافرة في نفوسهم؛ من العلم، والعبادة، والتواضع، فلذلك كانوا من أسعد الناس ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، بخلاف غيرهم من الضالين المستكبرين، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٦].

---

(٨٠) تفسير القرآن العظيم (٤: ٤٣٤).

وستبقى جولة أخيرة مع النصارى، في هذه الحياة الدنيا، حين ينزل عيسى ابن مريم، عليه السلام، آخر الزمان، كما دل على ذلك ظاهر القرآن، وصحيح السنة، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩]. وقد ذكر إمام المفسرين، ابن جرير الطبري، رحمه الله، الأقوال في توجيه هذه الآية، وقدم أحدها ورجحه، فقال: (معنى ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به"، يعني: بعيسى"قبل موته"، يعني: قبل موت عيسى. يوجِّه ذلك إلى أنّ جميعهم يصدِّقون به إذا نزل لقتل الدجّال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفيّة، دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم)(٨١). وقال صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)(٨٢).

وصدق الله تعالى، حيث يقول: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨]

(٨١) جامع البيان: (٦ / ١٨).

(٨٢) صحيح البخاري كتاب البيوع – باب قتل الخنزير رقم الحديث (٢٢٢٢)، صحيح مسلم كتاب الإيمان – باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١/١٣٤)، رقم (١٥٥).

نتائج البحث

١ -أن مصطلح (النصارى) هو الاسم التاريخي السائد لأتباع المسيح، عليه السلام، قبل الإسلام وبعده، عند العرب.

٢ -أن التسمي بهذا المصطلح (النصارى) ناشئٌ عن قول المنتسبين للمسيح، عليه السلام، (إنا نصارى)؛ إما لتناصرهم فيما بينهم، أو لاتصافهم بـ (أنصار الله) أو لنزولهم بلدة (ناصرة).

٣ -أن مصطلح (النصارى) هو التعبير الذي اعتمده القرآن للتعريف بأتباع المسيح، عليه السلام، مهديِّهم وضالِّهم، في سياق المدح أو الذم، في نحو أربعة عشر موضعًا. وكذلك في السنة والسيرة النبوية. ولم يجر التعبير بـ (المسيحيين) مطلقًا.

٤ -أن (النصارى) الممدوحين في الكتاب والسنة هم أتباع المسيح حقًا؛ كالحواريين، ومن أدرك محمدًا صلى الله عليه وسلم فآمن به، ودخل في عقد الإسلام. والمذمومون في الكتاب والسنة هم المبدلون الراغبون عن ملة إبراهيم، والمستنكفون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه.

٥ -إجماع المصادر النصرانية، على تلقيب المسيح، عليه السلام، بـ"الناصري"، نسبةً إلى نشأته في بلدة "الناصرة".

٦ -إهمال المصادر النصرانية، تلقيب أتباع المسيح بـ"النصارى"، وقصر ذلك على طائفة نصرانية متهودة، بزعمهم، يسمونهم "الناصريين" و " النصارى"!.

٧ -اعتراف المصادر النصرانية القديمة بطروء لقب "المسيحيين" على أتباع المسيح، وأنه ليس من وضع الحواريين ولا التلاميذ، بل من خارجهم.

٨ -ظلَّ لقب "النصارى" سائغًا مقبولًا مستعملًا لدى نصارى المشرق، طوال القرون. وظهرت بوادر التنصل منه والاستعاضة بلقب "المسيحيين" إثر تواصلهم مع النصارى الغربيين، لدواعٍ مجتمعية اعتبارية، أو لصرف الذم القرآني إلى طائفةٍ منقرضة، بزعمهم.

٩ -أن عيسى ابن مريم، عليه السلام، قد أفصح بما لا يدع مجالًا للشك والريبة، أنه عبد الله ونبيه ورسوله، وأمر بني إسرائيل بعبادة ربه وربهم، وحذرهم من الشرك غاية التحذير، وتوعدهم عليه أشد الوعيد.

١٠ - أن المؤمنين به هم "النصارى المهديون" من الحواريين والأصحاب، وتابعيهم بإحسان، المعتقدين أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، المتمسكين بالشريعة، النافين للشرك والبدعة.

١١ - أن الكافرين به هم اليهود الذين أنكروا نبوته، ورموا والدته بالبهتان، و"النصارى الضالون" أتباع بولس، القائلون بـ"قانون الإيمان النيقاوي" المتضمن للتثليث، والبنوة، والحلول والتجسد، المتنصلون من الشريعة.

١٢ - أن شاول الطرسوسي، الملقب بالقديس بولس، تظاهر باعتناق النصرانية ليفسدها، وأخرجها عن ملة إبراهيم، وشغب على كبار الحواريين، وأبطل الشريعة.

١٣ - أن "النصارى المهديين" تناقصوا على مر القرون، بسبب اضطهادِ اليهود والرومان، ثم تسلطِ "النصارى الضالين" المتحالفين مع قسطنطين، ضد الموحدين الآريوسيين، فلم يدرك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلا بقايا منهم، فآمنوا به وصدقوه، فآتاهم الله أجرهم مرتين.

التوصيات

أولًا: أهمية المحافظة على الألفاظ الشرعية، وعدم الاستعاضة عنها بألفاظ محدثة، لما يترتب على هجر التعبير القرآني والنبوي من لبس وإيهام واستزلال. وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله، عن إطلاق المسيحية على النصرانية، والمسيحي على النصراني، فأجاب:

(لا شك أن انتساب النصارى إلى المسيح، بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، انتساب غير صحيح؛ لأنه لو كان صحيحًا لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإن إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم إيمان بالمسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾، ولم يبشرهم المسيح عيسى ابن مريم بمحمد صلى الله عليه وسلم، إلا من أجل أن يقبلوا ما جاء به؛ لأن البشارة بما لا ينفع لغو من القول لا يمكن أن تأتي من أدنى الناس عقلًا، فضلاً عن أن تكون صدرت من عند أحد الرسل الكرام، أولي العزم، عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام. وهذا الذي بشر به عيسى ابن مريم بني إسرائيل، هو محمد صلى الله عليه وسلم. وقوله: (فَلَمّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)، وهذا يدل على أن الرسول الذي بشر به قد جاء، ولكنهم كفروا به وقالوا هذا سحر مبين. فإذا كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإن هذا كفر بعيسى ابن مريم، الذي بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ لا يصح أن ينتسبوا إليه فيقولوا: إنهم مسيحيون؛ إذ لو كانوا حقيقة لآمنوا بما بشر به المسيح ابن مريم؛ لأن عيسى ابن مريم، وغيره من الرسل، قد أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ

ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ والذي جاء مصدقًا لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾. وخلاصة القول: أن نسبة النصارى إلى المسيح عيسى ابن مريم، نسبة يكذبها الواقع ؛ لأنهم كفروا ببشارة المسيح عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وهو محمد صلى الله عليه وسلم. وكفرهم به كفر بعيسى ابن مريم ، عليه الصلاة والسلام)[٨٣].

ثانيًا: أهمية البحث والتنقيب عن تاريخ النصرانية، والتعرف على أوائل المؤمنين بالمسيح، ودراسة الفرق التوحيدية ؛ كالإبيونيين، والناصريين، والآريوسيين، ولفت أنظار النصارى المعاصرين إلى أسلافهم المؤمنين، ليقتفوا آثارهم، ويصححوا دينهم، والتحري عن الأناجيل التي يسمونها "منحولة"، ودراستها دراسة علمية، وتزييف دعاوى البولسيين، وتحريفهم لدين المسيح.

إن الشاهد التاريخي، والواقع المعاصر، يدلان على قبول النصارى لدين الله، فور سماعهم لدعوة الحق، وتحررهم من التأثير الكنسي، والتشويه الإعلامي لدين الإسلام. فحري بالدعاة إلى الله أن يتوجهوا بخطاب صادق واضح، مستمد من نداءات القرآن والسنة لأهل الكتاب، ويكشفوا عن الصلة الوثيقة بين أنبياء الله، واتفاقهم على دين الله، ويبينوا الأصول النقية لدين المسيح عليه السلام، ويزيفوا البدع الشركية، والغلو بغير الحق، الذي ابتدعه المغضوب عليهم والضالون.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(٨٣) المناهي اللفظية . الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ). ط: دار ابن الجوزي.

ثبت المراجع

[١] إكمال المعلم بفوائد مسلم. أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ). تحقيق: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

[٢] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (ت ٧٥١هـ)، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ، تحقيق : محمد حامد الفقي، عدد الأجزاء : ٢.

[٣] إنجيل برنابا : ترجمة د. خليل سعادة دار البشير. القاهرة.

[٤] تاريخ الكنيسة : جون لوريمر. ط : دار الثقافة. القاهرة ١٩٨٢م.

[٥] تاريخ الكنيسة : يوسابيوس القيصري.

[٦] تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية : ميشيل يستيم، إغناطيوس ديك. وغيرها. معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت. حريصا. منشورات المكتبة البولسية. الطبعة الثالثة. بيروت ١٩٩١م.

[٧] تاريخ الكنيسة المسيحية : سميرنوف. تعريب : المطران الكسندروس جحا. ط : مطرانية الروم الأرثذوكس بحمص ١٩٦٤م.

[٨] تاريخ تاسيتوس : Annales XV.

[٩] تاريخ الناصرة مسيرة عبر العصور، المؤلف : نهى زعرب قعوار، الناشر: الناصرة ٢٠٠٠م.

[١٠] تفسير القرآن العظيم. عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ) . تحقيق: أبو إسحاق الحويني. ط: دار ابن الجوزي ١٤٣١هـ.

[١١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ط مصطفى الحلبي.مصر.

[١٢] الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة : الأنبا اسيذورس القبطي (لا يوجد بيانات).

[١٣] دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، المؤلف: أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي،الناشر: دار ابن الجوزي — الرياض.

[١٤] زاد المسير في علم التفسير. أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي القرشي، ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ).ط: المكتب الإسلامي ١٣٨٤ه١٩٦٤م.

[١٥] سنن الترمذي. أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي. ط: دار السلام. الرياض. ١٤٢١ه.

[١٦] السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

[١٧] السلسلة الصحيحة. المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : مكتبة المعارف — الرياض، عدد الأجزاء : ٧.

[١٨] شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي(ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ ، عدد الأجزاء : ١٨.

[١٩] الصحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط. دار العلم للملايين. بيروت. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[٢٠] صحيح البخاري : أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري(٢٥٦هـ). ط : دار السلام. الرياض. ١٤٢١هـ.

[٢١] صحيح مسلم.أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ). ط : دار السلام. الرياض. ١٤٢١هـ.

[٢٢] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)و الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، عدد الأجزاء: ١٢.

[٢٣] العهد الجديد. ط : دار المشرق. بيروت. الطبعة الثالثة : ١٩٩٤م.

[٢٤] فتح الباري. المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).

[٢٥] الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، المؤلف: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت١٣٧٨هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٤.

[٢٦] القرآن دعوة نصرانية. يوسف درة الحداد، منشورات المكتبة البولسية. الطبعة الثانية : بيروت ١٩٨٦م.

[٢٧] الكنيسة القبطية. الأب موريس بيار مارتان اليسوعي. تعريب: جورج عازار. ط : دار المشرق.بيروت ١٩٩٢م.

[٢٨] كنيسة المشرق العربي. الأب جان كوربون. ط : منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٩٦م.

[٢٩] اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم الشافعي(ت ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. ط: دار النوادر. سوريا، الطبعة: الأولى ١٤٣٣ هـ -٢٠١٢ م.

[٣٠] محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م.

[٣١] مختصر تاريخ الكنيسة. أندرو ملر. ط: مكتبة الإخوة. مصر. الطبعة الخامسة ٢٠٠٨م

[٣٢] مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

[٣٣] المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. د. سلوى بَالحاج صالح -العايب. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

[٣٤] المسيحية في العالم العربي: الحسن بن طلال. المعهد الملكي للدراسات الدينية. ط: مكتبة عمان ١٩٩٥م.

[٣٥] مطالع الأنوار على صحاح الآثار. إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي(ت ٥٦٩هـ). تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. قطر. الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢ م

[٣٦] معجم البلدان، المؤلف : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر : دار الفكر — بيروت، عدد الأجزاء : ٥.

[٣٧] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. المؤلف : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) الناشر: عالم الكتب — بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣، تحقيق: مصطفى السقا. عدد الأجزاء : ٤.

[٣٨] المناهي اللفظية. محمد بن صالح العثيمين(ت ١٤٢١هـ).. ط: دار ابن الجوزي.

[٣٩] الموسوعة العربية الميسرة. ط:دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. القاهرة: ١٩٦٥م.

[٤٠] الميسر في شرح مصابيح السنة. فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبدالله، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي(ت٦٦١ هـ)، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

[٤١] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم - دار الشامية، جدة — السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[٤٢] Grolier Academic Encyclopedia.Published by GrolierInternational U.S.A 1985

"Nazareth" term and its denotations

Dr. Ahmed bin Abdul Rahman bin Othman Al-Qadi
Associate Professor, Faculty of Sharia and Islamic Studies
Qassim University

Abstract.

The most important results:

1- The term of "Nazareth" is the Arabic historical mainstream name of the Christ followers before and after Islam.

2- Naming with this term (Nazareth) arose from that the followers of the Christ said: "We are Nazareth". This can be because they supported one another، or for being described as (supporters of Allah)، or because they settled down in the village of "Nazareth".

3- The term of "Nazareth" is the Quranic expression that is used about fourteen times to identify both rightly guided and the misguided followers of the Christ. This term is used also in the 'prophetic sunnah'. However، the term 'Christianity' has never been used at all.

4- The "Nazareth" that are commended in the Quran and Sunnah are the true followers of the Christ and those who caught the prophet Mohammed alive and believed him. The "Nazareth" that are censured in the Quran and the Sunnah are those that turned away the creed of Abraham and refused to believe in the prophet Mohammed and his followers.

5- All the " Nazareth" sources have agreed upon calling the Christ as " Nasserist" due to his bringing up in the village of "Nazareth".

6- "Nazareth" sources have neglected calling the followers of the Christ as " Nazareth". They claimed that this name is only for a group that influenced by Judaism.

7- The ancient "Nazareth" sources acknowledged that the term of "Christianity" had been innovated for the followers of the Christ. Disciples did not make it up، but it had been come out from outside of them.

8- The term "Nazareth" has been accepted and used by the oriented "Nazareth" for centuries. It was the beginning signs of repudiating it and replace it with the term of "Christianity" when they communicated with the western "Nazareth". Thus was because of some significant social reasons or to divert the Quranic censure to، as they claimed، an extinct group.

9- The rightly guided "Nazareth" are the Disciplines and the companions and their followers in righteousness. They believed that the Messiah، Jesus son of Mary، is the servant of Allah، His messenger and His word، which He conveyed unto Mary، and a spirit of Him. They adhere to "Sharia" (Law of Moses) and reject polytheism and innovation.

10- The misguided "Nazareth" are the followers of Paul، who advocate the "Nicene Creed"، which involves the "Trinity"، divine filiation and incarnation. They are "Sharia" (Law of Moses) disclaimers.

11- Saul of Tarsus (Paul) pretended to embrace the "Nazareth" to spoil it and to move it away from the creed of Abraham.

12- The rightly guided Nazareth had diminished over centuries. This was because of the persecution of the Jews and the Romans، and the domination of the misguided "Nazareth" and their alignment with "Konstantin" against the "Unitarian Arians".

The most important recommendations: maintaining the religious terms، and doing scientific research on the history of the first faithful parties of "Nazareth".